المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد

العدد ٣٧ - السنة الرابعة عشرة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

المـؤرخ العـربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث
والتاريخ العربي والعالمي

تصدر عن الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب . بغداد

العدد ٣٧ . السنة الرابعة عشرة
١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

ترسل البحوث باسم مدير التحرير
ص ٠ ب : (٤٠٨٥) بغداد - الجمهورية العراقية

مجلة المؤرخ العربى - اتحاد المؤرخين العرب
ت ، (٤٤٤٨٠٠٦)

الاشتراك السنوى فى مجلة المؤرخ العربي وما يصدر عن الاتحاد من المنشورات التاريخية هو (٥٠) ديناراً عراقيا داخل العراق ، و(١٥٠) دولاراً امريكيا خارج العراق ٠

شروط نشر البحوث فى المجلة

١ - ان يعتمد البحث الأسس العلمية فى اعداد وكتابة البحوث ٠
٢ - ان يكون منسجما مع اهداف اتحاد المؤرخين العرب ٠
٣ - ان لايزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة ٠
٤ - ان لايكون قد سبق نشره أو قبل للنشر فى مجلة أخرى ، على ان يقدم كاتب البحث تعهدا يؤكد ذلك مرفقا برسالة مع البحث موجهة الى مدير التحرير ٠
٥ - تقبل البحوث فى جميع فروع المعرفة التاريخية ، وباللغتين العربية والإنجليزية ٠
٦ - يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة ، ويفضل أن يكون مختصرا ، ويثبت اسم الباحث او اسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم ٠
٧ - يطبع البحث على وجه واحد من الورقة ، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص ، ويقدم بنسختين ٠
٨ - بالنسبة للبحوث المقدمة الى المؤتمرات أو الندوات أو كان مستلا من رسالة أو اشرف عليها مقدم البحث يؤشر فى حاشية البحث ٠
٩ - لأمور فنية خاصة بالطباعة يجب ان توحد الهوامش الخاصة بالبحث من أول هامش فى البحث الى آخر هامش فيه ، وتعطى تسلسلا واحدا ٠
١٠ - يحال البحث المقدم للنشر الى خبير مختص ، ويعاد الى كاتبه لاجراء التعديلات المقترحة ان وجدت على ان يعاد الى مدير التحرير فى غضون خمسة ايام ٠
١١ - رتبت البحوث لاعتبارات فنية وهى تعبر عن اراء اصحابها مع التاكيد على ان مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى ، والبحوث التى ترد للمجلة لاتسترجع الى اصحابها فى حالة عدم نشرها ٠
١٢ - يرجى تدوين اسم الباحث ، وعنوان بحثه باللغة الأنجليزية ٠

هيئة التحرير

الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي

١٨ ـ الدكتور عاصم الدسوقي	جمهورية مصر العربية / سوهاج / جامعة اسيوط عميد كلية الآداب ٠
١٩ ـ الدكتور زكي مبارك	المملكة المغربية / مدير المعهد الملكي للشباب/الرباط ٠
٢٠ ـ الدكتور عبدالودود بن الشيخ	جمهورية موريتانيا الاسلامية مدير المعهد الموريتاني نواكشوط ٠
٢١ ـ الدكتور صالح ياسره	جمهورية اليمن الديمقراطية/جامعة عدن/ كلية الادارة/رئيس قسم التاريخ ٠
٢٢ ـ الدكتور حسين عبدالله العمري	الجمهورية العربية اليمنية/صنعاء ٠

السلطان سعيد والعلاقات العربية الأفريقية

الدكتور محمد حسن العيدروس
كلية الآداب
جامعة الامارات العربية المتحدة

التجربة التاريخية العربية ـ الأفريقية المشتركة :

قد تعتبر دراسة التاريخ مهمة لمحاولة فهم العلاقات العربية الأفريقية بطريقة أفضل ، وخاصة التاريخ العربى ـ الأفريقى منذ أقدم العصور وحتى التاريخ المعاصر لترابطه فى مختلف المراحل الزمنية والنواحى الانسانية والفكرية ، بحيث أصبح هذا التاريخ كعدّة حلقات مترابطة يصعب فهمها اذا سقطت احداها .

ونظرا لهذه الوحدة والترابط المشترك فى التاريخ العربي ـ الأفريقي فانه كان قد أصبح عبئا على صانعى السياسة المحدثين بسبب ما القاه فى طرقاته الباحثون الغربيون من مقولات قد شككت احيانا فى مكانة المسلمات مما كادت تخلق عثرة فى العلاقات لعربية ـ الأفريقية لولا تفهم الجانبين العربي والأفريقي لهذه المحاولات الغربية لاعاقة العلاقات العربية ـ الأفريقية . ثم بدأت الفترة المعاصرة مع بداية الستينات القاء الجسور واعادة هذه العلاقات المشتركة ولابد من ان يبذل جهد فكري جديد يجعل من فهم التاريخ امكانية جديدة للالتقاء والتفاهم العربى ـ الأفريقى ، ولجعل التجربة التاريخية الحديثة لدى العرب والأفريقيين موضع تأمل جديد يمكن معه فهم أفاق المستقبل والمضي نحو تعميق هذه التجربة للأجيال القادمة .

ومن هذا المنطلق فأننا سوف نقوم ببعض الدراسات عن هذه التجربة التاريخية المشتركة فى عهد السلطان سعيد بن أحمد ومحاولته ربط عمان العربية بالساحل الشرقي لافريقيا . ويقول د . صلاح العقاد[1] ان السيد سعيد قام بتجربة فريدة من نوعها وهى انشاء دولة عربية افريقية فى شرق افريقيا ، وكانت هذه التجربة خير دليل على تلاحم الشعب العربى الأفريقي وما تمخض عنه من اكتساب الروابط الحضارية والتاريخية والثقافية والروحية بكل وضوح ، والتى كان الدين الاسلامي المشعل الوحيد الذي مهد لها الطريق القويم وعلى مدى العصور نموذجا للامتزاج المتبادل اضافة الى الخبرة والمعرفة التى تميز بها البحارة من جنوب الجزيرة العربية خاصة عمان وحضرموت فى توقيت الرياح الموسمية واتجاهاتها من بحر العرب الى خليج عدن وبالعكس كان لها أثرها فى الرحلات التى قاموا بها الى شرق افريقيا ولعبت دروا مهما فى وصولهم اليها ومعرفتهم لها قبل وصول البرتغاليين اليها بعد عدة قرون[2] .

كما كان للملاح العربي الشهير ابن ماجد من رأس الخيمة بالامارات العربية دور كبير فى ارشاد الملاح البرتغالى «فاسكو دى جاما» الى الطريق البحرى من «مالندى» فى شرق افريقيا الى الهند . كما قام عرب عمان وحضرموت بتنظيم الرحلات الى شرق افريقيا بشكل دقيق واستقرارهم فيها أوجد لها الأثر البالغ فى عمق ارتباطهم بشعب شرق افريقيا ومعرفتهم بأحواله مما اعطاه بعدا جديداً فى العلاقات العربية ـ الأفريقية فى كل من عمان وحضرموت وشرق افريقيا لانزال نلاحظه الى يومنا هذا . كما تدل الاختلاطات العرقية الواضحة بين شعوب عمان وحضرموت وشرق افريقيا على تلك الصلات العميقة من خلال الاشارة الى السواد اللونى العربى ـ الأفريقى [4] والمنتشر فى سواحل عمان وحضرموت وسواحل شرق افريقيا ويوجد كثير من الإختلاط العنصرى بينهم .

ويمكننا ان نلتمس تلك الآثار التى ذكرناها فى الفترات التاريخية التى تتابعت ، وذلك من خلال معرفتنا بقوة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية التى قامت بين الشعب العربي وشعوب القارة الأفريقية وتتضح هذ العلاقات أكثر فى قيام الدولة البوسعيدية العربية فى عمان ، ثم امتدادها الى أرض القارة الأفريقية وتأسيسها السلطنة الاسلامية فى شرق افريقيا التى خضعت لحكمهم زمنا طويلا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر[5] .

خلفية تاريخية عن التواجد العربي فى شرق افريقيا :

لقد لعب العمانيون دورا كبيرا فى العلاقات العربية - الأفريقية وخاصة فى شرق افريقيا منذ القدم ٠ أما بداية هذه العلاقات فى التاريخ الحديث فيمكن ارجاعها الى قيام دولة اليعاربة والدور الذي لعبته فى طرد النفوذ البرتغالي عن عمان ، مما حدا بأبناء شرق افريقيا ان يرسلوا وفدا منهم الى عمان يستنجدون بالامام سيف بن سلطان وهو ثانى ائمة الأسرة اليعربية ويطلب اليه ان يقوم فى جزر «ممباسة» و «زنجبار» و «باميا» بنفس الدور الذي قام به فى عمان ، ولم يكن اختيار الامام سيف بن سلطان للقيام بدور المنقد لكونه المدافع عن الحقوق الوطنية والشرقية ضد الاستعمار الأوربي فحسب ، بل وايضا لوجود اعداد كبيرة من العرب التجار والمقيمين والذين مهما اختلفت انسابهم فهم ينظرون الى امام عمان القوة المؤهلة لتحريرهم من النير الغاصب الغربي ، وبرغم مر العصور على زوال الممالك التى كانت تكوِّن الجزء الغربي من بلاد العرب والذي ينتمى اليه أصلاً معظم العرب المهاجرين الى الساحل الشرقي من افريقيا ، فان احفاد هؤلاء المهاجرين مدفوعون بشعورهم ، وبادراكهم لأصلهم العربى - الأفريقى المشترك استنجدوا بعرب عمان وان كانوا من قبائل مختلفة وربما من مذاهب دينية مختلفة ايضا[٦] وهذا يدل على عمق الروابط العربية الأفريقية والعلاقة التى كانت تربط شرق افريقيا بعمان ، والا لماذا اتجه ابناء شرق افريقيا الى عمان العربية بالذات دون غيرها من الدول الاسلامية القوية كالدولة العثمانية والدولة الصفوية فى ايران ٠

إن الاستجابة لهذا النداء أمر تمليه العاطفة كما تمليه المصلحة ، فما من أسرة حاكمة فى عمان تجهل ان التجارة لاتقوم إلا حيث يكون للدولة نفوذ ما ، ورغم ان الاحوال لم تكن مستقرة تمام الاستقرار فى عمان فان الامام سيف بن سلطان لم يتأخر فى طلب ابناء شرق افريقيا وقام بارسال أسطول من السفن الحربية من مسقط لاخراج البرتغاليين من «ميامة»[٧] وبذلك دخل المجاهدون العمانيون فشنوا عليهم حملات موفقة منذ عام ١٦٥٢ والتى كانت قد بلغت ذروتها فى عهد الامام سيف بن سلطان[٨] ٠ استطاعت هذه القوة الناشئة الجديدة ان تهزم البرتغاليين وتم القضاء عليهم نسبيا فى معظم المناطق الشمالية منها ، واستطاع الأسطول العماني الاستيلاء على «ممباسة» وطرد الاستعمار البرتغالى وتمكن العمانيون من الدخول الى موزمبيق ٠ وبذلك ظل العمانيون يحملون على المقاومة فى عهد سيف بن سلطان وهزموا البرتغاليين سادة الأمس هزيمة ساحقة عندما اخرجوهم من ممباسة عام ١٦٦٠ ٠

ان اخراج البرتغاليين لم يكن بالأمر السهل إذ انهم وان خرجوا من شرق افريقيا فمالبثوا ان عادوا وظلوا فيها فترة من الزمن حتى عام ١٦٩٦ تقريبا ، مما جعل امام عمان يرسل حملة بحرية ثانية ، وكان وصولها ايذانا بثورة عامة فى شرق افريقيا على طول ساحله ابيد فيها البرتغاليون بأعداد كبيرة ، الأمر الذى أدى إلى تهيئة الفرصة لحكام عمان لتأسيس امبراطورية عربية - افريقية ، وبالرغم من ادراك الامام سلطان بن سيف هذه الاحتمالات وانه لم يكن زاهدا عن الاستفادة منها لكن ضعف مركزه فى عمان وانشغاله بأمور مهمة أخرى أخَّر تحقيق هذا الحلم فترة من الزمان ٠ لكن القوة العمانية كانت قد استطاعت ان تقضي على البرتغاليين قضاء شاملا عندما انسحبت من شرق افريقيا بعد الانتهاء من مهمتها فى تحريرها من الاستعمار الاوربي ، وقد ظلت «ممباسة» خالية من أى تدخل أوربى حتى عام ١٨٢٨ ، عندما عاد البرتغاليون لاحتلال هذه المنطقة مرة أخرى بقيادة الادميرال «لويس دي سابيو» مما اضطر الاهالى فى شرق افريقيا الى طلب العون والنجدة من امام عمان الذى اسرع بارسال قوة بحرية مكونة من اسطول صغير

وما ان وصلت القوة العمانية الى ساحل شرق افريقيا حتى وجدت ان ثورة الاهالى كانت قد قضت على البرتغاليين وبعدها اصبح محمد بن سعيد المعموري قائد الحملة الذى أرسله الامام لطرد البرتغاليين نائبا وواليا على شرق افريقيا [١١] ٠

كان هذا التحرر من الاستعمار الأوربى البرتغالي الذي جثم على صدر المسلمين نحو قرنين نذيرا بانطلاقة للنفوذ الاسلامى ، أستعادت الحركة الاسلامية نشاطها وكذلك عاد الاتصال فيما بين العرب والافريقيين ، وازداد التعاون التجاري بينهما عن طريق التجار والدعاة ، بدأ الاسلام يتوغل الى الداخل حتى وصل الى «موزمبيق» و «سغالة» و «نياسالاند» وبعد اختفاء الخطر البرتغالي تعمق العرب فى توغلهم الداخلي فنفذوا الى «هضبة البحيرات» ودخلوا «اوغنده» ، وفى خلال القرن الثامن عشر انشئت المساجد فى القرى الواقعة على طول الطرق التجارية الموصلة الى «بحيرات نياسا» و «تنجانيقا» حتى حدود «الكونغو» ويذكر هتشنز انه لاتكاد تخلو قرية فى قلب هذه المنقطة من مسجد للمسلمين ٠

السلطان سعيد ودوره فى اقامة الدولة العربية - الأفريقية :

عندما تعرضت عمان للاضطرابات الداخلية فى نهاية الأسرة اليعربية نتج عنها قيام دويلات محلية عربية فى شرق افريقيا ، ومن اهمها اسرة المزاريع العمانية التى استقلت بحكم «ممباسة» لفترة من الزمن حتى مجيء أسرة البوسعيد الى الحكم ، ورغم محاولة احمد بن سعيد السيطرة على «ممباسة»إلا انه لم ينجح وظلت أسرة المزاريع تحكمها حكما مستقلا ، لكن الجزر المجاورة مثل «كلوا» و «ماركا» و «زنجبار» ظلت تحت سيادة عمان يحكمها عبدالله بن جعد من ولاة عمان ٠ ظل الامر كذلك حتى ظهور سعيد بن سلطان الذي كان مشغولا بمواجهة الوهابيين طيلة الثلاثين عاما التالية ، ورغم حروبه المستمرة ضد الوهابيين الا انه لم يتوقف عن التفكير بشئون افريقيا ، وحتى وهو في غمرة حروبه المستمرة وغير الناجحة فقد ارسل واليا عنه يدعى خلفان بن ناصر عام ١٨١٢ الى «ممباسة» وأمره ان يبنى قلعة فى «لامو» ولكن ممثل المزاريع عبدالله بن أحمد رفض الاعتراف بأية حقوق لعمان بالتبعية أو الاتاوة[١٣] ٠

نظرا لانشغال سعيد لم يستطع ارسال قواته الى شرق افريقيا فى تلك الفترة لأنه كان قد ورث تركة مثقلة بالاعباء والاعداء كانوا يحيطون به من كل جانب والقبائل المتمردة فى جميع أرجاء عمان وقد كان الوهابيون يريدون احتلال عمان وكان القواسم يهددون التجارة العمانية فى مدخل الخليج العربي كما أن النزاع بين الفرنسيين والبريطانيين قد يجرّ عمان فى اية لحظة ، كل ذلك أخرّ توجه السلطان سعيد الى شرق افريقيا ، وبمجرد ان بدأت الأمور تتحسن وانتهى خطر الوهابيين بعد اجتياح جيش محمد على الجزيرة العربية ، بدأ سعيد ينظر الى شرق افريقيا وشعر انه اصبح من القوة بحيث يستطيع ان يبسط نفوذه على هذه الارجاء واثناء ذهابه لتأدية فريضة الحج فى مكة المكرمة كان قد أعد حملة بحرية الى ممباسة ، وكان واثقا من ان القوة الأوربية لن تعترض سبيله نظرا لضعف مركز الفرنسيين الذين كانت تربطه بهم علاقة مودة كما انه قد أقام مع البريطانيين علاقات قوية وخاصة بعد زوال الخطر الوهابى ، ويبدو ان سعيد كان واهما فيما تخيله من سكوت البريطانيين عن مشروعاته ، فقد كان البريطانيون فى هذه الفترة يرنون بابصارهم الى افريقيا الشرقية نظرا الى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية ، وعلى كل فان الفرصة كانت قد لاحت للسلطان سعيد عندما استنجد به بعض السكان من شرق افريقيا لينقذهم من أسرة المزروعي الذين كانوا قد بسطوا نفوذهم على تلك المناطق ٠ لقد استطاعت قوات السلطان سعيد ان تستولى على مدن «لامو» و «بيت» و «برادة» وانتهى الأمر بعقد صلح مع «ممباسة» و «بيت» عام ١٨٢٨[١٤] ٠ كان السلطان سعيد كلما قضى على المزاريع فى «ممباسة» وتصالح معهم نقضوا العهد ، لكنه فى عام ١٨٣٠ وضع حامية مكونة من حرسه الخاص للمحافظة على الأمن فى «ممباسة» وعندما قضى على الثورة غادر «ممباسة» بعد ان اعتقل جملة من قادة المزاريع وأخذهم الى مسقط ثم نفاهم الى قلعة مهجورة فى جزيرة هرمز[١٥] ٠ وبذلك اصبح السلطان سعيد حاكماً على عمان وشرق افريقيا ٠

يمكننا القول بان السلطان سعيد استطاع ان يربط عمان الواقعة فى الركن الجنوبى الشرقي من الجزيرة العربية بشرق افريقيا ويوحدهما تحت حكمه ، مما كان له أبعد الأثر فى تقوية الروابط وتوثيق العلاقات العربية - الأفريقية بين شرق الجزيرة العربية وشرق افريقيا ، وانعكس ذلك على نواحى كثيرة منها الاقتصادية والسياسية وادى ذلك الى انتعاش وازدهار هذه العلاقات وبذلك يكون سعيد بن سلطان قد نجح فى تأسيس امبراطورية عربية - أفريقية كانت الأولى من نوعها فى التاريخ الحديث لآسيا وافريقيا بل ولتاريخ العرب الحديث ايضا ٠

السلطان سعيد ونقل العاصمة العربية مسقط الى زنجبار فى شرق افريقيا :

برغم الاخطار والمشاكل التى كان يعاني منها السلطان سعيد الا انه انصرف بجهوده وراء رغبته فى توسيع ممتلكاته فى شرق افريقيا والعمل على تحسينها ، واصبح ينظر الى عمان على أنها وان كانت هى المصدر الأول لقوته البحرية والعسكرية ، آلا انها شيء ثقيل على نفسه ويجب ان يعهد بها إلى وكلائه ما استطاع الى ذلك سبيلا مما يعنى مدى اهتمامه الشخصي بشؤون شرق افريقيا[١٦] ٠

لقد اشتد فى عهد السلطان سعيد التحول من الناحية الدينية الى الناحية السياسية وأخذ سعيد ينتهج سياسة افريقية واضحة المعالم ويذهب بعض الباحثين الى ان اتجاه سعيد الى شرق افريقيا كان محاولة منه للهروب من المشكلات الكثيرة التى كانت تواجهه فى عمان ، ولكننا لانتفق مع هذا الرأى ، لأن اتخاذ سعيد سياسة افريقية لم تكن تبعده عن المشاكل العمانية التى كان يفرغ لها جزءاً كبيراً من وقته وجهده ، وانما كان اتجاهه الى شرق افريقيا يدل على بعد نظره وحرصه على هذا الجزء الهام

من دولته لكثرة موارده وزيادة فرص استغلالها ، فضلا عن ان الظروف المستجدة التى آلت اليها الدولة فى عهده لم تضطره كما حدث لاسلافه من ائمة عمان الى البقاء فى دولة ذات طابع ديني تقليدى وقد ظهر ذلك واضحا عندما اقدم السلطان سعيد على نقل عاصمة حكمه من مسقط فى القسم العربي الى زنجبار فى القارة الأفريقية فى عام ١٨٣٢ واقامته هناك وتفرغه لتكوين امبراطورية فى شرق افريقيا[١٨] .

ان نقل سعيد لعاصمة اقامته الى جزيرة زنجبار التى تبعد عن بلاده بنحو ٢٫٥٠٠ ميل والتى لاتصل اليها السفن إلّا فى وقت هبوب الرياح الموسمية ، لتثير عدة تساؤلات ؟ فلو امعنا النظر فى حالة مسقط فى ذلك الحين فاننا قد نرى بأن سعيد كان مدفوعاً بعوامل عدة منها جو شرق افريقيا الذي يختلف عن جو مسقط المعروف بشدة حرارته معظم ايام السنة ، وشدة هبوب رياحه ، فى حين نجد شرق افريقيا يمتاز بجمال الطبيعة وجاذبيتها[١٩] ، وأهمية موقعها الجغرافي وما تتميز به من موانىء صالحة للتجارة وعمليات التبادل التجاري اضافة الى الدوافع السياسية التى كان من أهمها تفضيله الاقامة فى زنجبار بعد ان عانى الكثير من المتاعب الداخلية فى عاصمته السابقة مسقط من جانب المنافسين له فى حكم عمان من أعمامه أو ابناء عمومته ، اضافة الى ان الوهابيين والقواسم كانوا كثيرا ما ينقضون عهدهم معه ويستأنفون هجماتهم على المقاطعات العمانية الواقعة على الخليج العربي والمحاذية للامارات العربية ، وليس من شك فى ان نقل العاصمة الى زنجبار كان له أثر كبير فى وضع الأسس السياسية والاقتصادية للسلطنة العربية فى افريقيا[٢٠] ، بل ويعتبر تطوراً فى العلاقات العربية ـ الأفريقية لما كان له نتائج على شرق افريقيا فى عهد السلطان سعيد .

برغم سقوط ممباسة فى يد السلطان سعيد ، فإنه لم يغير من عزمه الأول على جعل زنجبار مقراً له وعاصمة لدولته ، فقد كانت ممباسة فى تلك الفترة هى المفتاح الرئيس للساحل الأفريقي الشرقي بكامله ، كانت فيها اقدم الموانىء على ذلك الساحل واكبرها ، ولكن السلطان سعيداً جعل من زنجبار منافساً فى مركزها ، وسيقدر له بعد سنين قليلة ان يسلبها مركزها وأهميتها علما بأن ممباسة هى التى كانت اهم مدن شرق افريقيا قبل عام ١٨٢٣ ، ولم تكن زنجبار وقت ذاك ألا قرية صغيرة لايحسب لها حساب[٢١] .

لقد لقى السلطان سعيد استقبال الفاتحين فى زنجبار والذين كانوا مدفوعين بالصلات القديمة التى تربطهم بعمان ، مقدرين ما بذله حكام عمان من جهود فى سبيل حمايتهم ، لذلك هيأت له الأحوال فى زنجبار حكماً آمنا ، كما كان سعيد مدفوعاً بعوامل اقتصادية ترجع الى صلاحية موانىء زنجبار للملاحة[٢٢] .

لاشك فى ان سعيد كان يحلم فى قيام امبراطورية عربية ـ افريقية واسعة الاطراف تشد بعضها الى البعض الآخر شبكة محكمة من الروابط التجارية المتينة ، وكلما كان تفكيره يهديه الى العودة الى مسقط ووجوب البقاء فيها وكلما كانت مكائد الطامعين وثورات القبائل وتهديد الوهابيين من جهة والقواسم من جهة أخرى ، تجعل غيابه من عمان محفوفا بالمخاطر والصعاب ، كان يعود فيصر على البقاء فى عاصمته الجديدة زنجبار ، يمضى فيها اوقاتا اطول ينظم المدينة ويهتم بأمورها الادارية والاقتصادية والعمرانية غير عابىء بكلام الناس بل وسخريتهم أحياناً ، فقد اصبحت زنجبار مطمح أنظاره ومهد احلامه وكان مستعداً للمجازفة بمواجهة كل الاخطار المحدقة به من أجل اقامته فى عاصمته بشرق افريقيا[٢٣] .

بدأ سعيد فى بناء منزله الريفى الذائع الصيت فى عام ١٨٣٨ ، بيت «الموتني» نسبة الى نهر الموتنى الصغير خارج حدود زنجبار ، وما ان تم بناؤه حتى اتخذه دارا ومقاما له ولحاشيته ومركزاً للحكم ، وبيت «الموتنى» كان واسعا كبيرا غير منسق الطراز ومع ان السلطان سعيد ابتنى له قصرا آخر داخل المدينة الا ان بيت «الموتنى» ظل محل سكناه المفضل ومحل سكنى ابنائه وحاشيته وكان عددهم يزيد على الالف نسمة ، ولم يكن السلطان يهتم بالمظهر فى الهندسة والبناء والقصور ليرضي الأوربيين بل كان بسيطا ومتواضعاً ، لكنه يدرك اهدافه وله احساس صادق بأنجح السبل التى تحقق اهدافه هذه وكان قاطعاً على بلوغها ، وان كان قد ادرك اهمية موقع زنجبار من أول نظرة القاها عليها عندما جاء من «ممباسة» ، ولم يستطع ان يهجرها بعد ، فمنها امتد سلطانه على طول الساحل وعلى الجزر المتناثرة امامه كما امتد داخل البر الافريقى ومنها انتشر تجاره ووكلاؤه التجاريون فى شبكة من النشاط التجاري الذى غطى كل الساحل الشرقى الأفريقى[٢٤] .

السلطان سعيد والتنمية الاقتصادية فى شرق افريقيا :

ان الارتباط الاقتصادى العربى بشرق افريقيا قد بدأ قبل اكثر من ثلاثة عشر قرنا على الأقل ، بعد أن دخل العرب واستقروا فى الساحل الشرقي لافريقيا بشكل واضح منذ القرن العاشر تقريبا ، وكانت معظم هذه الهجرات فى البداية من ابناء حضرموت وساحل اليمن ، وكان غرضها فى الغالب تجاريا بعيداً عن الفتوحات

الاسلامية برغم علاقتها بنشر الاسلام عن طريق التجارة دون التدخل السياسى والعسكري ، مما يعنى بأن الغرض التجاري كان هو الدافع لهذه الصلات ولم تكن ذات اغراض استعمارية ، بدليل اختيار العرب للمدن والموانىء التى تتسم بميزات تجارية محدودة ، كسهولة اتصالها بالاقاليم الداخلية مثل ممباسة وزنجبار[٢٥] .

وقد كان أحمد بن سعيد مؤسس الأسرة البوسعيدية وجدّ السلطان سعيد كثيراً ما يهتم بالنواحى التجارية ، وقد يرجع ذلك لانتمائه لأسرة من التجار واشتغاله بالتجارة ، مما كان له أثر كبير فى اهتمامه بتلك النواحى ، وقد فتحت مقاطعات شرق افريقيا بمواردها وما يكثر فيها من الغلات سبل التجارة على مصراعيها ، وعمل أحمد بن سعيد على تشجيع التجارة واستمرارها بين مسقط وممتلكاته فى شرق افريقيا التى اعترفت بسيادته ، وكان يرسل فى كل عام بعضا من سفنه لتأتى له بالذهب والعاج وغير ذلك من موارد تلك الجهات ، وحتى المقاطعات التى لم تعترف بسيادته كان حريصا على اقامة علاقة تجارية معها ولذلك لم يلجأ الى فرض سيطرته بالقوة العسكرية خوفاً من انقطاع تلك الصلات التجارية بينها وبين عمان[٢٦] .

من ذلك يتضح بأن التعاون التجاري والاقتصادي العربى - الأفريقي قد وجد منذ اقدم العصور واستمر الى العصر الحديث ومن خلال ذلك كله برز الدور الذي لعبه عرب حضرموت وعمان فى إعمار وانعاش الأوضاع الاقتصادية لسكان شرق افريقيا ويتجسد فى اهتمام السلطان سعيد ودوره فيها مما أدى الى انتشار الرخاء الذي عم شرق افريقيا نتيجة لاكتشافهم مناجم الحديد فى ماليزى «ممباسة» اضافة لما طرأ من تطور فى صناعات الغزل والاقمشة التى اخذت تصدر من مقديشو الى مصر[٢٧] .

لقد قام السلطان سعيد ببرنامج اصلاحي طبقه فى شرق افريقيا فيما يتعلق بالعملة والرسوم الجمركية وادخال زراعة القرنفل وانعاش تجارة القوافل وتشجيع الاجانب والعمل على جذب الهنود الى دولته حتى اصبحت مدينة زنجبار اكبر ميناء على سواحل المحيط الهندى الغربية واكبر مستودع للتجارة الأفريقية الآسيوية والمورد الرئيسي لتزويد العالم بالقرنفل وأكبر سوق لتجارة العاج واصبحت اهميتها لاترجع الى تصدير القرنفل فحسب وانما الى زيادة توغل تجارها داخل القارة وعودتهم الى الساحل بالمنتجات الاستوائية[٢٨] .

أولا : تشجيع التجارة :

كان السلطان سعيد يهتم بتشجيع التجارة ، ولتحقيق هذا الهدف فانه كان حريصا عند انتقاله الى زنجبار أن يأخذ معه التجار العرب والهنود ، وخاصة من طائفة «البانيان» من «الهندوس» الذين يسهمون بنشاط وافر فى عمليات التجارة فى مسقط وكانوا يقبضون على زمام التجارة الدولية فى الشرق ، وقام بتشجيع هؤلاء الهنود للسفر الى زنجبار ، والذين كانوا يعهدون فى السلطان سعيد من تسامح كبير ومعاملة طيبة حيث منح الحرية الدينية لهؤلاء «الهندوس» ليقوموا بشعائرهم ومنحهم ماكانوا يتوقون اليه من مكانة فى المجال الاقتصادى ، كما استعان ببعض الاكفاء منهم فى الأعمال الادارية والاقتصادية وعلى الرغم من علاقة الهنود بشرق افريقيا منذ القدم ، الا ان اعدادهم تزايدت فى عهد السلطان سعيد ، حتى بلغت اربعة الاف نسمة ، وان اربعة اخماس التجارة الخارجية كانت فى ايديهم كما امتد الهنود بمراكزهم التجارية حتـى جزيـرة «مدغشقـر» و «موزمبيق» وجزر القمر وبمضى الزمن كثر عددهم وأخذوا يستولون على الممتلكات من العرب عن طريق الرهن والشراء[٢٩] .

كان فى مدينة زنجبار وحدها نحو ألف من التجار الهنود والذين كانوا ينعمون بحماية السلطان سعيد ، كما اعفاهم من الرسوم الجمركية وعهد اليهم بشؤنه المالية ، كما وفد على زنجبار كثير من مسلمى الهند الذين نعموا بنفس المعاملة ، ولم تكن تخلو مدينة من مدن شرق افريقيا من افراد الجالية الهندية الذين انتعشت تجارتهم وبدأوا يقتنون ثروات ضخمة وزاد عددهم بدرجة ملحوظة حتى أصبح اكثر من ستة الاف فى عام ١٨٦٠ ، وقد ساعدهم فى ذلك اعفاء السلطان سعيد من القيود الجمركية وتشجيع التجارة ولم يحتكر السلطان سعيد اية سلعة من السلع[٣٠] .

كان قد وفد مع السلطان سعيد مئات من العرب وخاصة عرب عمان وحضرموت ، فازدهرت التجارة وانتعشت بمقدمهم الى درجة لم تكن معهودة من قبل ، وفى الوقت الذى اقتصر النشاط التجاري للهنود فى الموانيء والمدن الساحلية فى شرق افريقيا ، استطاع التجار العرب ان يغامروا فى التوغل الى المناطق الداخلية فى القارة الأفريقية والتى لم يكن قد ارتادها احد من قبل ، واستقر كثيرون منهم فى الداخل واسسوا المراكز التجارية التى جهدوا فى تقويتها ، حتى تحولت تلك المراكز التجارية الى مدن وبدأت تشع قدراً من السيطرة

والنفوذ للدولة العربية الأفريقية في الداخل حتى لقد اشتهر المثل السواحيلي القائل[31]

«اذا دقت الطبول في زنجبار رقص الناس طربا على البحيرات»

كانت تلك السيطرة الداخلية ترتبط بقوافل التجارة التي شجعت الصلات التجارية بين العرب والأفريقيين ، وخاصة بين سكان الساحل في شرق افريقيا وسكان الداخل في وسط القارة الأفريقية ، وذلك بعدما توغل التجار العرب بحثا عن السلع التي تشتهر بها تلك المناطق التي اصبحت تصل الى البحيرات الاستوائية مثل بحيرة «نياسا» و «بحيرة تنجانيقا» وبحيرة «فكتوريا» واعالي النيل والكونغو ، ونشأت طرق جديدة للمواصلات كما قامت على النهج العديد من المدن العربية على خطوط القوافل التجارية وذاع صيتها فيما بعد مثل «طابورة» أو «جيجى» و «كارجواي» ٠

لم يكن السلطان سعيد يهدف الى استغلالاً هذه المناطق استغلال طبيعيا ، وانما كان همه منصرف الى القيام بدور الوسيط بين المناطق الاستوائية الداخلية والجماعات الساحلية في شرق افريقيا[32] ٠

يمكن القول بأن نفوذ التجار امتد الى اغلب اركان شرق افريقيا ووسطها تقريبا وامتد الى اقليم البحيرات العظمى والمجاري العليا للانهار الكبرى وذاع صيتهم من سواحل المحيط الهندي شرقا حتى البحيرات الاستوائية غربا بدون ان تظهر لديهم اية اطماع أو محاولة للسيطرة على مقاليد الحكم بشكل قهري ، وبالمقابل لما قام به التجار العرب من نشاط اقتصادي في القارة الأفريقية فقد اخذت تلك الشعوب الأفريقية بحماية هذه النشاطات العربية التي تمر بأراضيهم مما أدى الى ازدهارها واستفادة العرب من الموارد الغذائية التي تشتهر بها تلك الأجزاء في التنمية الاقتصادية والتجارية ، واتضحت هذه الآثار الأفريقية في التجارة العربية في فترات لاحقة ، وتم نقل هذه البضائع على السفن التجارية العربية الى مختلف الأسواق في آسيا واوربا عن طريق موانيء شرق افريقيا كما يمكن ان نلمس بوضوح الأثر البارز الذي لعبته الدولة العربية الأفريقية والسلطان سعيد بشكل خاص في شرق القارة الأفريقية بتوطيدها لاواصر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين العرب والافارقة[33] ٠

ثانياً : الجمارك والعملة :

كانت الأنظمة الاقتصادية التي وضعها السلطان سعيد للدولة العربية ـ الأفريقية ، بسيطة ومرنة وكانت لاتزيد على ٥٪ عن الواردات التي تأتي الى الموانيء في شرق افريقيا لتخفيف الأعباء التجارية وتجيشعها واعفاء الصادرات الوطنية من أعباء الضرائب ، كما تميز عهد السلطان سعيد في شرق افريقيابوضع نظام نقدي يحل محل العملات المتعددة الجنسية التي كانت مستخدمة في شرق افريقيا كالريال النمساوي والاسباني والفرنسي ، ولم ينته عهد السلطان سعيد حتى اختفت العملات من السلطنة العربية ـ الأفريقية وحل محلها النظام الجديد الذي استحدثه والذي كان يعتمد على الروبية الهندية[34] .

قد كان دخل جمارك زنجبار أقل من دخل مسقط اذ ما قورن قبل الثلاثينات من القرن السابع عشر ، ثم أخذ هذا الرقم يتزايد بشكل سريع بعدها ادخل السلطان سعيد التنظميات والاصلاحات الاقتصادية في شرق افريقيا حتى اصبح دخل جمارك زنجبار حوالي ١٥٠ر٠٠٠ ريال نسماوي في العام ، أما قبل تلك الاصلاحات والتنظيمات الاقتصادية ، فان دخلها كان لايتعدى ٣٠ر٠٠٠ ريال نمساوي في العام وبذلك يمكن القول بأن مجموع دخل السلطان سعيد من جمارك مسقط وزنجبار وبندر عباس كان لايقل عن ٣٥٠ إلف ريال نمساوي او سبعين الف جنيه استرليني في العام [35] ٠

ثالثا : ادخال زراعة القرنفل :

اهتم السلطان سعيد باستغلال زنجبار نفسها بالقيام بمشروعات زراعية وتشجيع زراعة قصب السكر والقرنفل ، وتعتبر زراعة القرنفل من أهم اعماله الادارية في زنجبار وشرق افريقيا[36] ، وذات فائدة عظمى ودائمة لاقتصادها ، والغريب ان جهوده لدعم زراعة القرنفل قوبلت بمعارضة لكنه ثابر حتى نجح في غرضه ، فقد فشلت المحاولة الأولى لادخال القرنفل من جزر «موريسشيوس» الى زنجبار عام ١٨٠١ وكان الفرنسيون قد زرعوها لأول مرة عام ١٧٧٧ ، ولكن المحاولة الثانية بعد سبعة عشر عاما اثبتت نجاحا ، وبعد مصادرة مزرعة القرنفل الاصلية والوحيدة في زنجبار ، أمر السلطان سعيد بتعميم زراعة القرنفل بعد التهديد بمصادرات أخرى ، وبذلك وضع الحجر الاساسي للزراعة الاساسية في زنجبار وشرق افريقيا والتي ادت الى رخاء هائل فقد ذكر الميجر «ف٠ب بيرس» مايلي :ـــ

«ان سلك السلطان سعيد كان حيال زراعة القرنفل في زنجبار وبما يشهد بأنه رجل ذو سلطة غير عادية وشخصية قوية ، كما يمكن اعتبار اشجار القرنفل نصبا تذكاريا ـ وهى نصب تذكاري جميل ايضا لتخليد ذكرى السلطان سعيد صانع زنجبار ٠

اضافة الى تشجيع السلطان سعيد القوى لزراعة اشجال القرنفل على نطاق واسع فان جو جزيرتي زنجبار «وبمبا» قد ساعد على ازدهارها حتى اصبحت لاتقل أهمية عن تجارة العاج أو أى محصول رئيسي آخر ، ومازالت زنجبار تنتج ٥/٤ غلة القرنفل فى العالم[٣٨] ٠

رابعاً : الحماية الاقتصادية :

كان السلطان سعيد قد ادرك لضمان الازدهار الاقتصادى لشرق افريقيا ، عليه ان يعمل على حماية التجارة من المنافسات التى تتعرض إليها ، وبرغم انه كان يؤمن بالحرية الاقتصادية ، الا انه وجد نفسه مضطرا الى تطبيق سياسة احتكارية لضمان المركز الاقتصادى لشرق افريقيا ، لذلك حرم على طول الساحل الشرقي لافريقيا والممتد من مصب نهر «البانجابى» على «كلوة» تصدير المطاط والعاج تحت أى علم خلاف علم السلطنة العربية ـ الأفريقية وان كنا لانجد احتكارات أخرى باستثناء ذلك[٣٩] ٠

كما نجد السلطان سعيد يبنى اسطولا بحريا ضخما فى عام ١٨٣٤ يضم بعض المدمرات والطرادات ليحمى طرق المواصلات بين بلاده وبلاد العرب ويؤمن سبل الملاحة ويحقق مشروعاته التجارية التى تأتي من الموارد الكثيرة التى تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة[٤٠] ٠

خامساً : فتح اسواق خارجية :

وقد ترجع شهرة السلطان سعيد فى العالم الخارجي الى فتح موانيء شرق افريقيا للدول الأجنبية حتى تحولت زنجبار الى أعظم ميناء فى الاطراف الجنوبية الغربية للمحيط الهندى ، كما اصبحت زنجبار المستودع الرئيسى للتجارة الأفريقية ـ الآسيوية ، وفى خلال عشرين عاماً من نقل السلطان سعيد عاصمة بلاده من مسقط الى زنجبار اصبحت زنجبار واحدة من ثلاثة أو أربعة مراكز للتجارة فى المياه الغربية للمحيط الهندى[٤١] ٠

كان السلطان سعيد يهتم بفتح اسواق جديدة خارجية لمنتجات سلطنته ، بعدما كانت الأسواق التقليدية مقصورة على ساحل المحيط الهندى الممتد من عدن الى بومباى وعلى مصر والخليج والجزيرة العربية ، ولهذا اتجه السلطان سعيد بأنظاره نحو اسواق اوربا وأمريكا لأهمية هذه الاسواق لرواج تجارة شرق افريقيا ، ولهذا رحب بالتجار الأوربيين والامريكيين الذين زاروا زنجبار ، كما عقد معاهدات مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣ ، وبريطانيا عام ١٨٣٩ ، وفرنسا عام ١٨٤٤ وسمح بانشاء قنصليات لهذه الدول فى بلاده ، وعندما توفى السلطان سعيد كانت اسواق اوربا تستهلك من ثلث منتجات افريقيا المارة بزنجبار ، وكان قد دخل مينائها تسعون سفينة اوربية وامريكية فى عام ١٨٥٧[٤١] ٠

عرف السلطان سعيد حبه الكبير للتجارة وممارستها فالى جانب كونه حاكماً ورجل سياسة كان ايضا تاجراً ماهرا نظم تجارة بلاده مع العالم الخارجي ، وكان يقوم بالاعمال التجارية لحسابه الخاص وابتنى لهذا الغرض اسطولا تجاريا ضخما كان يستخدمه فى نقل البضائع ، ويحمل منتجات زنجبار «ومقديشو» و «ممباسة» وباقى المناطق الأفريقية الى موانيء العالم الخارجي[٤٣] ٠ وبذلك أخذ السلطان سعيد يتجر مباشرة مع الدول الأوربية ويرسل سفنه الى «مرسيليا» و «جنوة» و «لندن» وغيرها ، وقد اثر ذلك على نمو مدينة زنجبار وازدهارها بعد ما كانت مجرد قرية صغيرة فى القرن الثامن عشر واستطاع ان يجعل دولته فى شرق افريقيا ، ثالث دولة تجارية فى المحيط الهندى [٤٤] ٠

المجتمع العربى ـ الأفريقى فى شرق افريقيا :

كان سكان شرق افريقيا فى عهد السلطان سعيد يتألفون من طبقتين :

الطبقة الأولى السكان الأصليون :

هذه الطبقة هم سكان البلاد الأصليون وينتشرون على طول ساحل زنجبار وفى داخل البلاد ، ولم يتدخل السلطان سعيد فى شؤونهم بل منحهم حريتهم وولى على كل قبيلة احد زعائمها ، ويعتبر سكان زنجبار خليطاً من أجناس مختلفة أسهم فيها أهالى «شيراز» من الفرس وعرب حضرموت وقبائل «البانتسو» الأفريقية بقدر كبير من موجات الهجرة ، ولما كان «البانتسو» ليسوا زنوجا خالصين بل هم خليط من عناصر حامية وزنجية ، فأنه من السهل القول بأن نسبة مرتفعة من دماء السكان الحاليين حامية عربية ولم يبق الا عدد صغير من «الجيد» و «البانتسو» وهم أهل زنجبار الاصليون وكان للحضرميين وربما لليمنيين دور كبير فى تلك الفترة[٤٥] ٠

فقد كان لاستقرار عرب الحضارمة فى شرق افريقيا اثر كبير فى ظهور سمات لشعب جديد اسهم العرب ومن توافد معهم من الفرس من «شيراز» اختلاط الجنس الحامي والسامي الحضرمي «بالبانتو» وثمرة التزاوج الذي تم بين هذه العناصر[٤٦] ٠ كما لعب الاسلام دوراً كبيراً لأنه لم يعرف الحاجز العرقي الذي لايسمح للرجل الأبيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء ، فقد كان لسمو الحضارة الاسلامية فى هذا الشأن اثره فى انتشار الاسلام وتكوين الشعب السواحلي

بالاختلاط بين العناصر العربية الاسلامية والفارسية بقبائل «البانتو» الأفريقية ·

وقد ظلت شرق افريقيا تتلقى حتى وقت متأخر هجرات عائلات عربية اليها من منطقة جنوب الجزيرة العربية وتكاثر عددها مع مرور الزمن وكان المهاجرون العرب الى شرق افريقيا سرعان مايندمجون مع المجتمع الأفريقي ويتخذونها وطنا ويعتبرهم سكانها مواطنين[٨] · إن افارقة زنجبار ينقسمون الى تجمعين اساسيين ، الشيرازيون وافارقة القارة الذين هاجروا الى الجزر خلال المائتى عام الماضية ، ويقع موطن «الوحاديمو» فى شرق وجنوب جزيرة «الواتوباتو» فى جزيرة «تومباتو» و «الوابما» فى جزيرة «بمبا» وبمرور الوقت انتقل كثيرون من مواطنهم[٩] ·

الطبقة الثانية المهاجرون العرب والهنود :

يعتبر العرب والتجار الهنود الذين وفدوا الى شرق افريقيا من الطبقة الثانية ، والمولودون أى الذين ولدوا من آباء عرب وأمهات وطنيات وكان السلطان سعيد بعيداً عن التصعب العرقي ، فقد ادرك ان مصلحة شرق افريقيا تتفق ومصلحة طبقة «البانيان» من «الهندوس» وان البانيان الواحد يجر بعده عشرة من بنى قومه[٥] ولذلك شجعهم وقدم لهم كل عون وسمح لهم بممارسة شعائرهم ·

العادات والتقاليد :

إنَّ مجتمع شرق افريقيا معظمهم من المسلمين السنيين وعلى شيء من التهذيب ، وقد تركوا كثيرا من عاداتهم القديمة ، شأنهم شأن العرب قبل الاسلام ، وقد تأثروا كثيراً بالعادات والتقاليد العربية الاسلامية وكذلك بالملابس ، فهم يرتدون الزى العربى التقليدى ، فالرجال يلبسون ثوباً طويلا يسمونه «دشداشة» يشدون فوقه نطاقا ؟ علما بأن نفس هذه الملابس تلبس فى منطقة الخليج والجزيرة العربية ، وكذلك نفس التسمية وهى «الدشداشة» ويبدو ان هذه الكلمة عربية مأخوذة من سلطنة عمان بحكم علاقة هذه الدولة بشرق افريقيا ·

وهناك الكثير من الملابس التى تشبه ملابس الخليج والجزيرة العربية فمنهم من يلبس القفطان والعباءة وينتعلون النعال فى حين تلبس النساء السراويل الطويلة ، وثوباً يتدلى الركبتين يشدون فوقه نطاقا وعلى رؤوسهن نسيج يشبه الكوفية ، يعلوها حزام كعقال الرجال ويضعن النقود الذهبية على رؤوسهن ، ويكثرن من الاسوار والخواتم ويستعملن القلائد والسلاسل الذهبية التى توضع حول العنق وترخى الى الوسط ويختلف نوع تلك الحلى من ذهبية الى فضية حسب مركزها الاجتماعي ودخلها المادى ، ويصفرن وسط جباههن بالزعفران ويزججن الحواجب ويكحلن العيون ويصبغن ايديهن وارجلهن بالحناء[٢] ·

وهنا نلاحظ الشبه الكثير مع النساء العمانيات اللواتي يلبسن ويتزين مثلهن الى حد كبير مما يدل على تأثر نساء شرق افريقيا بالنساء العمانيات · وتقول سلمة بنت السلطان سعيد[٣] «فالزي الذي تلبسه النساء واحد ويتكون من قميص ينحدر الى ركبتها وسروال عريض طويل مربوطة نهايتيه عند الكاهل وعصابة من الحرير تلف بها شعرها» ·

وهناك عادة أخرى شبية لدى النساء العمانيات فمثلا النساء من العامة يتجولن نهارا لقضاء لوازم منازلهن والخاصة من المخضرمات كثيرات التحجب ولايبارحن منازلهن نهارا ، وربما خرجن ليلا للنزهة ، واذا ما لقيهن رجل فى الطريق عرج يمنة تأدبا منه أو وقف مختبأ رعاية لحرمتهن[٤] وتقول سالمة بنت السلطان سعيد :—

«والمسلمات يتجنبن الظهور فى الشوارع فى وضح النهار ولذلك جرت العادة ان يكون خروجهن فى الصباح الباكر أو بعد حلول الظلام ولم تكن فى ايامي فى زنجبار شوارع مضاءة وكان على كل مسافر فى الطريق ان يؤمن من وسائل الاضاءة لنفسه وكنا نستعمل لهذه الغاية الفوانيس الكبيرة التى نتفنن فى صنعها م » ·

وهناك فى المجتمع السواحلى بعض الافراد يشتغلون بالتجارة والبعض الآخر بالسمسرة فى حين يكتفى الآخر بما يحصل عليه من غلة ارضه اما فى الأقاليم الداخلية فتزرع النساء الذرة والبطاطا وينسجن الحصر وغيرها من المنسوجات الخشنة ، ويقضي اكثر الرجال اوقاتهم فى الصيد والقنص معتمدين على النساء فى قضاء لوازم بيوتهن وحرث الاراضي [٦] ·

ومما سبق يتضح عمق الروابط والعلاقات العربية ـ الأفريقية فى العادات والتقاليد لدى مجتمع شرق افريقيا الذي تقبل وتأثر بهذه العادات والتقاليد العربية لاختلاطه بابناء الخليج العربي والجزيرة العربية ، وخاصة عرب عمان وحضرموت ، وبالمقابل فان العرب ايضا تأثروا من المجتمع السواحلي وأخذوا عنهم الكثير من العادات والتقاليد ·

منع تجارة الرقيق :

لقد لعب السلطان سعيد دوراً كبيراً فى منع تجارة الرقيق عندما وقع اتفاقية مع بريطانيا عام ١٨٢٢ ،

يقضي بتحريم تجارة الرقيق من كل نوع ومنحت سلطة التفتيش والاعتقال للسفن البريطانية لأى سفينة تمارس الرقيق وخاصة اذا عرفنا بان المصادر الرئيسية لتجارة الرقيق كانت فى شرق افريقيا ، والتى كانت تقع من ضمن ممتلكات السلطان سعيد ، وبمقتضى تلك المعاهدة تعهد السلطان سعيد بتحريم تجارة الرقيق خارج ممتلكاته الأفريقية - الآسيوية ، وهذه المعاهدة نصت على تحريم تجارة الرقيق للدول المسيحية ، وتعيين وكيل للحكومة البريطانية فى ممتلكات السلطنة العربية - الأفريقية لمراقبة هذه التجارة واعتقال اى سفن تمارس هذه التجارة ، وبعد مرور اربعة اشهر فقط تم ضبط احدى السفن تحمل بعض الرقيق للدول المسيحية ، ويصور لنا هذا المنع لتجارة الرقيق بعد نظر السلطان سعيد والروح النبيلة للتضحية بالذات [٥٧] أو كما قال «السير ريتشارد بيرشون» فيما بعد :ـــ

لقد كلفته صداقته لنا ثمنا باهظا ، لقد كان هذا التنازل عن ممارسة تجارة الرقيق لم يقض على ربح دخله السنوى وقدره ٨٠ الف جنيه وكان قد فقد رعاياه من الأفريقيين ايضا ربحاً كبيراً كانوا يحصلون عليه من ممارستهم لتلك التجارة ، ولم يحصل السلطان سعيد على أى تعويض من الحكومة البريطانية مقابل منعه ممارسة تجارة الرقيق ، علما بأن بريطانيا سبق لها ان قدمت لاسبانيا تعويضا قدره ٤٠ الف جنيه عام ١٨١٧ عن قيام بعض البريطانيين لتلك الأعمال[٥٨] ٠

الثقافة والمؤتمرات العربية - الأفريقية :

لقد بدأ انتشار واستقرار الثقافة العربية الاسلامية فى شرق افريقيا مع الهجرات العربية والتى جابهت الثقافات المحلية ، الموروثة للسكان الاصليين فبرزت مشكلة الملاءمة والالتقاء فيما بين هاتين الثقافتين ونتج عنها ثقافة عربية - افريقية مشتركة على الساحل الشرقي من افريقيا فقد ذكر الدكتور يوسف فضل حسن بأن ما يعكس عراقة الصلة بين المنطقتين الجزيرة العربية وافريقيا شدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية القاطنة فى السواحل الشمالية والشرقية لأفريقيا والشعوب الناطقة باللغات السامية فى السواحل فى الجزيرة العربية ، فقبل ظهور الاسلام استقرت بعض المجموعات الأفريقية التى هاجرت الى الجزيرة العربية وانصهرت فى بوتقة القبائل العربية عن طريق الولاء والانتماء الكامل ، وبعد ظهور الاسلام حمل العرب رسالتهم الجديدة باتجاه الغرب الى افريقيا متجهين بنفس الطرق التى سلكها اجدادهم من قبل بهدف التجارة او الهجرة وكانوا فى ذلك حملة لأهم مظهرين من مظاهر الثقافة - الاسلام واللغة العربية [٥٩] ٠ واستمرت هذه الهجرات خاصة من عرب حضرموت وعمان بمن سبقهم الى شرق افريقيا مما كان له أثر واضح لمؤاتمرات الثقافة والحضارة العربية التى لم تتوقف على أرض شرق افريقيا وانما امتدت الى داخل ووسط القارة وحوض الكونغو وتزايد عدد السكان العرب بشكل مطرد فى خلال عهد الدولة العربية الأفريقية ٠

العلاقة بين اللغة العربية والسواحيلية :

وكان لانتشار الاسلام أثر كبير فى نشر اللغة العربية بين الأقوام التى دخلها الاسلام برغم ان انتشاره كان بطيئا فى شرق افريقيا ويعلل «السير توماس ارنولد» على ذلك بقوله بأن العرب لم يعملوا على صبغ البلاد بالصبغة الاسلامية وان الاسلام لم يقم فى شرق افريقيا نتيجة لفتح او توسع عسكري وانما الذين قاموا به فى الغالب جماعات من التجار العرب كانت تعينهم التجارة اكثر ما يعنيهم نشر الاسلام ومع ذلك يمكن القول بأن عامل الدين لم يكن العامل الوحيد الذي ساهم فى انتشار اللغة العربية والدليل على ذلك ، ان الدين الاسلامي دخل واستقر بين شعوب افريقيا ولم تكن تعرف اللغة العربية كل تلك الشعوب ، وانما هناك عوامل أخرى مثل التقارب الكبير فى المظاهر اللفظية والنحوية بين بعض اللهجات واللغات المحلية الأفريقية كما نجد حوالى ٢٠٪ من مصطلحات اللغة السواحيلية التى تتكلمها دول فى شرق افريقيا حاليا مثل «تنزانيا» و «كينيا» و «اوغندا» و «زائير» و «بورندى» ماخوذة من اللغة الغربية[١٢] ٠

ويقول دكتور يوسف فضل حسن عن اللغة السواحيلية وعلاقتها باللغة العربية «ولعل من أهم نتائج التواصل العربى - الأفريقي لبضعة قرون نشأة الثقافة السواحيلية واللغة السواحيلية وقد ظهرت هذه الثقافة فى نحو القرن الثامن الميلادى ، وتمركزت فى منطقة شرق افريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة واتسعت دائرة اللغة السواحيلية «هجين عربي - افريقي» فى العهد الاستعماري فشملت اجزاء من وسط افريقيا وفى عام ١٩٦٠ اعتمدت جمهورية تنزانيا المتحدة لغة قومية[١٣] وتنتشر اللغة السواحيلية على طول الساحل الشرقي من القارة ، وهى خير مثال على تأثر العلاقات العربية - الأفريقية فى الثقافة وخاصة اللغة ودليل على عمق هذه العلاقات وأثرها فى المجتمع الأفريقي الشرقي ، وخاصة ان هذه العلاقات السواحيلية نتاج لاختلاط المهاجرين العرب بدماء «البانتو» ولغاتهم ٠ فقد تزوج العرب من نساء «البانتو» الزنوج وسمى النتاج بالامة السواحيلية

التى تكلمت اللغة السواحيلية كما انتشرت هذه اللغة بين السكان الاصليين مثل «الديجو» و «الباود» و «الجلاء» واصبحت لغة المعاملات التجارية والمالية وتمتاز اللغة السواحيلية بخفتها ورقتها وهى لطيفة تطرب السامع ، وقد جاءت حركاتها الحلقية من اللغة العربية ، بينما اخذت بعض التعبيرات من الفارسية والهندية وتعتبر هذه اللغة حاليا كما ذكرنا اللغة الرسمية القومية على طول ساحل شرق افريقيا ، وكانت تكتب بالابجدية العربية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن الاستعمار الأوربي قام بتغيير حروفها الابجدية العربية الى اللاتينية حتى تبعد عن اصولها العربية ، بينما توجد الكثير من المعاملات التجارية والصكوك الشرعية لدى أهالي شرق افريقيا مكتوبة بالابجدية العربية[٦٤] وقد كانت هذه اللغة غنية بالادب والشعر لتأثرها بالعربية ٠

ولايزال يوجد الكثير من التشابه فى شرق افريقيا مع الحضارة العربية الاسلامية ، وخاصة فى المناصب والمصطلحات الادارية ونظم ملكية الأرض كما وجد قانون عرف ، وقد عمل المستعمرون البريطانيون فى شرق افريقيا فيما بعد على تفتيت تلك الدولة الاسلامية العربية وبدأوا يخضعون كل منطقة من شرق افريقيا لسيطرتهم ، وبدأوا يشجعونهم للنظم والتقاليد المحلية وابقائهم لنفوذ زعماء القبائل لغرض تمزيق وحدتهم ، ولكن الذي حدث شد ازرهم ودفعهم للتمسك ببقائهم وثقافتهم العربية ـ الأفريقية الموروثة المشتركة بكل ما يملكون من امكانيات [٦٥] ٠ وقد اراد الاستعمار تحطيم العلاقات العربية ـ الأفريقية ليربط الافارقة بالثقافة الأوربية ٠

وكما اثرت الثقافة العربية على شعوب شرق افريقيا ، نجد ان هنالك تأثيراً افريقيا على الثقافة العربية وحضارتها ، ونجد الكثير من المصطلحات والكلمات مأخوذة من شرق افريقيا فى اللهجات المحلية والثقافة العربية المحلية فى كل من ساحل حضرموت وعمان والامارات العربية ، وأحياناً الى مختلف دول الخليج العربي ، وكذلك فى الفن فنجد كثيراً من الأغاني والالحان والرقصات الشعبية فى منطقة الخليج العربي مأخوذة من شرق افريقيا على سبيل المثال رقصة «ليو» و «الحبان» «الطنبورة» ومن ذلك يتضح لنا ما مدى التأثير المتبادل بين الحضارة العربية فى الخليج وجنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا ، توضحت لنا أسباب تقبل الشعوب الأفريقية للثقافة العربية ، وان تلك الاسباب كانت قد مهدت للغة والثقافة العربية الاسلامية لان تسود فى ارجاء شامخة من شرق افريقيا ، ومع ذلك فان اللغات واللهجات والثقافات الوطنية للسكان الاصليين بقيت بجانب لغة القرآن ، وهذا خير دليل لروح التسامح الحضاري العربى ـ الاسلامي فى التعايش مع اخوانهم الافارقة ومعاملتهم بالحسنى ، مما جعل الشعوب ـ الافريقية تنظر للدين الاسلامي وحضارته كمنقذ لها من الجهل وفى القرآن الكريم كمنظم لمختلف أوجه حياتها المادية والمعنوية [٦٦] ٠

التنظيمات السياسية والادارية فى الدولة العربية ـ الأفريقية

اولاً : حدود السلطنة :

لقد كانت حدود السلطنة العربية ـ الأفريقية متسعة إذ شملت معظم ساحل افريقيا الشرقية ، وبلغت حدود هذه السلطنة شمالا حتى حدود الحبشة الجنوبية ، وجنوبا حتى موزمبيق البرتغالية ، ولم يجد السلطان سعيد قوة اجنبية تقاسمه السلطان وتنازعه الملك ٠ وقد ازدهرت ونمت المدن الساحلية فى افريقيا الشرقية فى عهده فأزدحمت واكتظت ونمت ووفدت عليها البضائع الأجنبية وازدهرت فيها التجارة وخاصة مدينتى «مقديشو» و «كلوة» وكان السلطان يهتم بعناية وتطوير مدينة «مقديشو» فلم يبخل عليها بالمال لانشاء المرافق العامة واصلاح الطرق وبناء الأسوار كما ، مد السلطان ببصره الى جزيرة «مدغشقر» وعمل على ضمها الى مملكته ، فتزوج من ملكتها عام ١٨٣٣ ، التى فتحت الطريق لتجارته ودفعت له ثلاثين الف ريال فى كل عام ٠ وأخذ ابناء شرق افريقيا يستقرون فى هذه الجزيرة ٠ وفى الوقت الذي اخذ فيه نفوذه يمتد الى الجنوب أخذ نفوذه يضعف تدريجيا وبخاصة فى الجزء الشمالي من بلاده وقد يرجع ذلك الى التنافس بين القبائل العربية البدوية فى المنطقة الواقعة جنوبي «جوب» ولم يكن لدى هؤلاء القبائل العربية البدوية ابغض من الخضوع لنظام مهما بلغ شأنه او قوته ، وكانت القبائل الصومالية وقبائل «البانتو» من هذا النوع من البدو الاشداء المحاربين ولم تنجح محاولة السلطان سعيد فى كسبهم لسيادته [٦٧] ٠ أما حدوده العربية فى قارة آسيا فقد بلغت دولة عمان وظفار وبندر عباس والجزر الواقعة فى مضيق هرمز فى مدخل الخليج العربي اضافة الى حدوده فى منطقة «مكران» «الايرانية بلوشستان» الباكستانية وخاصة منطقة الجوادر و «شهبار» ٠

الحكومة :

لقد كانت حكومة السلطان سعيد فى غاية البساطة ، فليس ثمة مصالح ولا وزراء ولا جمع من كبار الموظفين ، حتى الضرائب لم يكن يعهد بجبايتها الى موظفى الدولة ،

وانما يعهد بها الى زعماء العشائر لجمع تلك الضرائب ، كما جعل جمع الرسوم الجمركية بأيدي جماعة من التجار «البانيان» من الهنود الاغنياء عن طريق الالتزام بمعنى انهم يدفعون له مبلغا من المال ، مقابل تحصيل هذه الرسوم ، وكان نتيجتها ان استطاع هؤلاء «البانيان» ان يجمعوا ثروات ضخمة فى ظل النظام والحكم حتى أن أحدهم توفى ولديه ثروة تقدر بثلاثة ملايين ريال أو مايقارب من ٦٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني[٦٨] ·

وكان السلطان سعيد يمضي معظم اوقاته فى اقامة نظام سياسي واقتصادي جديد فى شرق افريقيا ، وكان قد تمكن بالقوة والسياسة من اخضاع كل ساحل شرق افريقيا لحكمه من «دوار شيخ» الى «رأس الجادو» وكان السلطان سعيد حريصا فى ادارة ممتلكاته الشاسعة فى شرق افريقيا بأن يعين فى كل مقاطعة حاكماً محليا من أهل البلاد ، يدين له بالتبعية والولاء ، وان نراه احيانا قد يفقد الثقة بالحكام المحليين مما يدفعه بالاستعاضة عنهم باعوانه من مسقط ، كما كان يمدهم بحاميات من جيشه تكون بمثابة نواة ومن ثم يحاول الحكام المحليون تنمية قواتهم بانفسهم بشكل يحفظ للحاكم هيبته ومركزه وللسلطنة نفوذها[٦٩] ·

ولكن سعيد ترك لكل مدينة حرية تصريف شؤنها فى توافق مع المدن الأخرى ، ولم يتدخل فى شؤنها الداخلية إلا فى حالة قيام ثورة او اضطرابات أو حرب بين القبائل ، وهكذا كان نظام حكم السلطان سعيد يهدف الى حماية هذه المدن من هجوم اية دولة اجنبية ويحرم فى نفس الوقت على الأهالى الدخول فى صلات مع هذه الدول حتى لاتشكل خطراً على وحدة الساحل الشرقى الأفريقى ·

ثالثا النظام القضائي :

لقد كان القضاء فى عهد سعيد على درجة كبيرة من البساطة وظل القرآن الكريم هو أصل التشريعات ومصدر الاحكام · وكان السلطان سعيد يحكم فى القضايا المهمة بنفسه ، أما القضايا الأقل أهمية فكان يتركها لابنه الأكبر خالد أو لحاكم مدينة زنجبار ، أما القضايا العادية فقد تركت للقضاة الذين كان يعينهم للحكم فيما يحدث من منازعات تجارية او غيرها بين رعاياه[٧١] ·

وهذا يعنى بأنه لم يكن هناك محاكم بالمعنى المفهوم وقد شهد الاجانب والرحالة الذين زاروا شرق افريقيا للسلطان سعيد بالعدالة والمساواة بين رعاياه ولم يعتمد فى تنفيذ سياسته الا على ثلاثمائة من افراد جنده المسلحين بالرماح والتى كان قد جاء بهم من جزيرة «سقطرة» من «المهربين» وكانت هناك فرقة قد جاء بها من السكان الافارقة تقوم بحراسة الطرقات وتقبض على المجرمين[٧٢] ·

رابعاً : البحرية

كان السلطان سعيد يهتم بأسطوله البحرى فقد شاهد «اللفتنات هارث» من الأسطول الملكى البريطاني بعض قطع البحرية لاسطول السلطان سعيد فى ميناء زنجبار فى شهر فبراير ١٨٢٤ ، وكانت راسية هناك سفينة حربية مسلحة بـ ٧٤ مدفعاً تسمى «ليفربول» وفرقاطة مسلحة بـ ٥٠ مدفعاً وأخرى بـ ٣٦ مدفعاً وطراد بـ ٢٠ مدفعاً وسفينة طراز «برك» مسلحة بـ ١٠ مدافع بالاضافة الى سفينة أخرى وفى شهر سبتمبر من نفس العام قام زائر امريكى بعدِّ السفن الراسية فى ميناء مسقط فوجد بالاضافة الى السفينة «ليفربول» خمس سفن أخرى بواقع ٣٠ مدفعاً فى كل منها الى جانب ست سفن أخرى من مختلف الحمولات كانت إحداها تحمل ٢٢ مدفعاً واثنتين اخريين تحملان ١٨ مدفعاً فى كل منهما ، واثنتين تحملان ١٢ مدفعاً فى كل منهما ·

وقد بلغت السفن الحربية لدى اسطول السلطان سعيد حوالى خمساً وسبعين سفينة ، وقد ذكر أحد ضباط البحرية البريطانية عندما شاهد ذلك الأسطول الكبير بقوله[٧٤] : «أنه لو كان قد خطر للسلطان سعيد ان يسعى من أجل التفوق البحرى فى المحيط الهندي لوجد البريطانيون أمامهم خصماً عنيداً جداً للتعامل معه » ·

وعندما جاء ادموند روبرت[٧٥] الى واشنطن كتب ما يلى عن السلطان سعيد يقول : «انه يمتلك قوة بحرية أكثر كفاءة من كل القوى البحرية للامراء الوطنيين مجتمعين ، من رأس الرجاء الصالح حتى اليابان · وموارده أكثر ما يكفى احتياجاته ، وهى مستمدة من التجارة ، حيث يملك هو نفسه عدداً كبيراً من السفن التجارية ومن الرسوم الجمركية على البضائع الأجنبية ، ومن أموال الجزية والهدايا التى يتلقاها من امراء مختلفين مما كان يدر عليه مبلغا ضخما كل عام ·

خامساً : شخصية السلطان سعيد :

كان السلطان سعيد يعتبر من أقوى حكام المحيط الهندى بلا منازع فقد كان انفذهم كلمة وأشدهم بأسا وأكثرهم احتراماً ، كما اشتهر السلطان سعيد بالبساطة والتواضع وكان يرتدي الرداء العربي البسيط ويضع على رأسه العمامة الملونة ولايتحلى بالذهب والجواهر كعادة الحكام والملوك · وكان منزله متواضعاً ذا طابقين ولم يتجاوز حرسه اثنى عشر فارسا من أهل «بومباي» فى حين

كان السائحون الاجانب يستغربون عندما كانوا يشاهدون السلطان ، وما كانوا يسمعون عن صيته العظيم وما لمسوه من بساطته وكرمه واهتمامه بالوطنيين والاجانب جميعاً[٧٦] ٠

وكانت بنية السلطان قوية ويصف الكاتب «جوبليان» الفرنسي السلطان سعيد بقوله[٧٧] : « وقامته المديدة وطلعته المهيبة تضفي عليه وقارا يفوق ما كان يتحلى به من الصفات ٠ وقد لاحظ الزائرون الاجانب انه كان من ابهى حكام الشرق واوفرهم هيبة ، ويكاد وصفهم له يرقى الى حد الشعر ومحبة اهل زنجبار له تبلغ حد العبادة » ٠

يقول د ٠ صلاح العقاد بأن المؤلفات عن السلطان سعيد وأعماله كثرت باللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والأنجليزية ، وساهم فى ذلك الرحالة المعاصرون له وبعض المؤرخين المحدثين ، وقد انصب اهتمام هؤلاء على منجزات الحاكم العربي فى شرق افريقيا ، لأن الأوربيين استفادوا من تمهيد العرب لتلك المنطقة وفتحها للتجارة العالمية ، فى حين لم يحظ السلطان سعيد باهتمام كاف من المؤرخين العرب ٠

لقد كان السلطان سعيد يتصف باللين وحب الخير واللباقة ، وكان افراد شعبه يعتبرونه والداً أكثر منه حاكماً ، كما تشهد دائما زياراته لخدمه وتهنئتهم عندما يتزوجون ، وكان يهتم بتطبيق المساواة والعدالة وكان صديقاً لكل انسان ويرغب فى فعل الخير وان النجاح الذي اصابه يكمن فى حب سعيد لشعبه وحب الشعب له[٧٩] ٠

الدولة العربية ـ الأفريقية والعـلاقات الدولية :

لم يقتصر السلطان سعيد فى اقامة علاقات بين دولته وبريطانيا وانما فى توسعة النشاط الاقتصادي ادى الى الدخول فى علاقات دولية مع كل من الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا[٨٠] كما شجع الاجانب على الاقامة فى بلاده ومنحهم الكثير من التسهيلات التجارية ، وتأسست القنصليات الأجنبية لعدة دول فى زنجبار ٠ ورغم ان شرق افريقيا أفادت من التدخل الأوربي الاقتصادى ، ولكن نتائجها كانت وخيمة لأنها مهدت الى التدخل السياسي والعسكري الأوربي ، وليس أدلّ على ذلك من ان الدول الأوربية التى مارست النشاط الاقتصادى فى شرق افريقيا هى التى مهدت لنفسها السبيل لاستعمار شرق افريقيا واقتسام ممتلكات السلطنة العربية ـ الأفريقية فيما بينها ففى حركة تقسيم افريقيا نجد تلك الدول التى قامت بالنشاط الاقتصادى هى نفسها التى اقتسمت المنطقة فيما بينها[٨١] ٠ وتعتبر معاهدة ١٨٣٣ مع الولايات المتحدة من أهم المعاهدات التى وقعها السلطان سعيد والتى نصت على ابقاء الصلات الودية بين البلدين والتأكيد على حرية التجارة بالنسبة لرعايا الطرفين[٧٢] ٠ وهذا ما جعل بريطانيا تعيد صلاتها مع السلطان سعيد خوفاً من انصرافه الى غيرها من الدول ولعل ما دفعها الى عقد معاهدة عام ١٨٣٩ للتهيئة الى حد كبير بالمعاهدة الأمريكية ٠ كما ابرمت معاهدة مع فرنسا عام ١٨٤٤[٨٣] ٠

إنَّ تلك العلاقات الدولية مع شرق افريقيا لم تقتصر على الشؤن الاقتصادية فقط ، وانما تعدتها الى مجال آخر منها الحركات الاستكشافية والحركات التبشيرية ، وكثيرا من هؤلاء المكتشفين والمبشرين اشادوا بمساعدة السلطان سعيد لهم ، واعتمدوا على نفوذه فى التوغل داخل الاقاليم الأفريقية ، وقد تحدث المبشر المسيحي «كرايف» فى كتابه عن النشاطات التبشيرية في شرق القارة الأفريقية عن التسهيلات الكثيرة التى قدمها السطان سعيد له لنشر المسيحية ، وانه كان يزوده بحاميات عسكرية للحراسة وبعث معه رسائل الى زعماء القبائل والرؤساء التابعين له فى داخل افريقيا وان كثيرا من المؤسسات التبشيرية الأنجليزية والفرنسية قد اضطلعت بشؤن تبشيرية فى شرق افريقيا وتأسست الكثير من المدارس والمراكز التبشيرية فى الساحل او الداخل[٨٤] ٠

فقد كانت جمعية التبشير الكنسية قد بعثت بالدكتور «كريف» فى عام ١٨٤٤ الى زنجبار عن طريق القنصل البريطاني الذي قدمه للسلطان سعيد وشرح المبشر «كريف» للسلطان انه يرغب فى الاستيطان فى ممباسة من أجل تحويل السكان الى المسيحية ، فسمح له السلطان سعيد بالقيام بذلك وسلمه توصية للحاكم العربي للساحل ، ومن ممباسة بدأ عمله فى التبشير بين قبائل «نيبكا»[٨٥] بعدما كان قد فشل ولم ينجح فى المناطق الشرقية من الحبشة ، علما بأن هذه الجمعية من أقدم الجمعيات التبشيرية التى وفدت الى شرق افريقيا٠

اضافة الى المبشرين المسيحيين فان المستكشفين الأوربيين ايضا وجدوا كل عون ومساعدة من السلطان سعيد ، والذين قاموا بكشوفهم الجغرافية مسترشدين بما اوجده التجار العرب من المراكز التجارية فى داخل شرق افريقيا ، وقد اشار المستكشف البريطاني «بيرتون» إلى أهم هذه المراكز الحضارية ودور السلطنة العربية ـ الأفريقية فى تقدم حركة الكشوف الجغرافية فى شرق افريقيا[٨٦] ٠

بعد دراستنا لنشاطات القوى الأوربية من اقتصادية واستكشافية وتبشيرية وما قدمه السلطان سعيد لتلك

الحركات والجمعيات التبشيرية مما سهل عملها في تنصير الافارقة ، وعرض كافة المساعدات والتسهيلات للبعثات المسيحية ، ومع ذلك فانه تبين لنا مقدار الخطر الكبير الذي كان يتربص ليس فقط بممتلكات السلطنة العربية ـ الأفريقية وانما على العلاقات العربية ـ الأفريقية التى تأثرت الى درجة كبيرة بعد مجيء الاستعمار الأوربي الى شرق افريقيا والذي قام بجهود كبيرة لقطع هذه العلاقات وربط شرق افريقيا اقتصاديا وثقافيا بالدول الاستعمارية الأوربية ٠

نهاية الدولة العربية ـ الأفريقية

كان السلطان سعيد أول من فكر في اقامة الدولة العربية ـ الأفريقية ولكن آماله واحلامه لم تلق النجاح الذي كان يتوقعه ، بل ان جهوده في تأسيس الدولة كانت مسئولة الى حد كبير من اهماله لممتلكاته في الخليج والجزيرة العربية ، وكانت المحصلة النهائية تفكك ممتلكاته في عمان وشرق افريقيا بعد وفاته عام ١٨٥٦ ، كما كثرت الثورات الاباضية في عمان وزادت الغزوات الوهابية ، وقد كان من الصعب على السلطان سعيد الاحتفاظ بالدولة العربية ـ الأفريقية بشقيها الأفريقي والأسيوي في غمار القرن التاسع عشر الذي شهد تفوق القوة الأوربية العسكرية والصناعية وشهد الرتل الطويل من المستكشفين والتجار الأوربيين الذين انتهوا الى حقيقة ان شرق افريقيا صالح للاستغلال وانها قارة جديرة بالامتلاك والسيطرة ، وبذلك شاءت الظروف ان تصطدم برغبة السلطان في تأسيس الدولة العربية ـ الأفريقية مع رغبة الدول الاستعمارية الأوربية في السيطرة على تلك القارة واستعمارها واقتسامها فيما بينها[٨٧] ٠

قد يكون السلطان سعيد ارتكب خطأ عندما ربط مصيره بمصير الوجود البريطاني منذ العقد الأول من القرن التاسع عشر ، وراح يستجيب لمطالب بريطانيا وابرم معها ومع غيرها من الدول الأوربية الاتفاقيات الاقتصادية التى فتحت أبواب افريقية الشرقية على مصارعها للأوربيين ، مما أدى في النهاية الى الاحتلال الأوربي وكان البريطانيون وغيرهم من الأوربيين قد استغلوا هذه الفرصة فأخذوا يتسللون الى داخل القارة تحت ستار التجارة وحركات الكشوف الجغرافية والحركات التبشيرية كما عملوا بعد وفاة السلطان سعيد على تفكيك اوصال الدولة العربية ـ الأفريقية بفصل شرق افريقيا عن سلطنة عمان حتى يسهل عليهم التدخل في شؤن كل منهما والاستحواذ عليهما[٨٨] ٠

يقول «بيرس» في تعليقه على آمال السلطان سعيد بالدولة العربية ـ الأفريقية انه ولد متأخراً خمسمائة عام ، وفي وقت غير ملائم لتحقيق تلك الرغبات والآمال التى كان يحرص عليها السلطان سعيد ٠ ومهما يقال عن فشل السلطان سعيد في المحافظة على ممتلكاته في عمان أو فشله في الابقاء على دولته في شرق افريقيا ، إلا ان الأمر الذي لاشك فيه ان تواجده واهتمامه بشرق افريقيا قد أثر على تلك المنطقة حتى تطورت وازدهرت واصبحت شهرة السلطان سعيد في العالم الخارجي متعلقة بحكمه لشرق افريقيا اكثر مما ترجع الى حكمه لعمان العربية[٨٩] هذا دليل واضح على الدور الذي لعبه السلطان سعيد في تطوير العلاقات العربية ـ الأفريقية الى درجة بأن اقاليمه العربية تأثرت على حساب الاقاليم الأفريقية التى ازدهرت ، ولكن في النهاية قدمت الكثير وساهمت في تقوية روابط العلاقات العربية ـ الأفريقية ٠

الهوامش :

(١) على شعراوي ـ العرب والأفريقيون وجهاً لوجه صف ٢٠١ ·
(٢) د · صلاح العقاد ـ التيارات السياسية فى الخليج العربي ص ١١٦ ·
(٣) عصام محمد الجبوري ـ العلاقات العربية الأفريقية ص ٢٠ ·
(٤) عصام محمد الجبوري ـ نفس المرجع ص ٢٣ ·
(٥) عصام محمد الجبوري ـ نفس المرجع ص ٢١ ·
(٦) رودولف سعيد روث ـ سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ص ٦٠ ·
(٧) رودولف سعيد روث نفس المصدر ص ٩٠ ·
(٨) محمد محمود الصواف ـ إفريقيا المسلمة ص ٧٣٥ ·
(٩) محمد محمود الصواف ـ نفس المرجع ص ٧٣٥ ·
(١٠) د · حسن أحمد محمود ـ الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ص ٤٣٤ ·
(١١) رودولف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ٥١ ·
(١٢) د · حسن أحمد محمود ـ المرجع السابق ص ٤٣٥ ·
(١٣) رودولف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ٩٣ ·
(١٤) د · حسن ابراهيم حسن ـ انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية ص ١٩٤ ـ ٢٠١ ·
(١٥) فالح حنظل ـ الفصل فى تاريخ الامارات العربية المتحدة ص ٤٦٤ ·
(١٦) د · جمال زكريا قاسم ـ الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ٨٤٠ ص ٢٠٩ ·
(١٧) ح ح لديمر ـ دليل الخليج ص٢ ـ ص٧٠٣ ·
(١٨) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص٢١١ ·
(١٩) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣ ·
(٢٠) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢١٩ ·
(٢١) رودولف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ١٠٣ ·
(٢٢) حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣ ·
(٢٣) رودلف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ١١٥ ·
(٢٤) رودلف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ١١٧ ·
(٢٥) عصام محمد الجبوري ـ المرجع السابق ص ٦١ ·
(٢٦) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص١٠٩ ·
(٧٦) عصام محمد الجبوري ـ المرجع السابق ص ٦٣ ·
(٢٨) د · جلال يحيى ـ تاريخ افريقيه الحديث والمعاصر ص ١٠٧ ·
(٢٩) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٣٢٠ ·
(٣٠) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣ ·
(٣١) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٣٢٠ ·
(٣٢) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٤ ·
(٣٣) عصام محمد الجبوري ـ المرجع السابق ص ٦٦ ·
(٣٤) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٢١ ·
(٣٥) جون ـ بي ـ كيلى ـ بريطانيا والخليج ص ٣٨٤ ·
(٣٦) Ministry Of Information P.16
(٢٧) وندل فليس ـ تاريخ عمان ص ١٢٦ ·
(٣٨) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣ ·
(٣٩) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص٢٢١ ·
(٤٠) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٣٠٢ ·
(٤١) د · جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٢٢ ·
(٤٢) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ٢٠٤ ·
(٤٣) عامر محمد الجبرى ـ تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٧٩٢ ·
(٤٤) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٤ ·
(٤٥) وندل فيلبس ـ المرجع السابق ص ١٤٠ ·
(٤٦) عائشة السيار ـ دولة اليعاربة وشرق افريقيا ص ٩٢ ·
(٤٧) محمد فايق ـ عبدالناصر والثورة الافريقية ص ١١٠ ·
(٤٨) د · عبدالقادر زبانية ـ مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٧٥٢ ·
(٤٩) وندل فيلبس ـ المرجع السابق ص١٢٨ ·
(٥٠) رودولف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ١٨٧ ·
(٥١) د · حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ١٠٨ ·
(٥٢) د · حسن ابراهيم حسن ـ نفس المرجع ص ٢٠٨ ·

(٥٣) السيدة سالمة بنت سعيد سلطان ـ مذكرات أميرة عربية ص ١٣٥ ٠
(٥٤) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٩ ٠
(٥٥) السيدة سالمة بنت سعيد سلطان ـ المرجع السابق ص ٢١٦ ٠
(٥٦) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٩ ٠
(٥٧) وندل فيلبس ـ المرجع السابق ص ١٤٠ ٠
(٥٨) وندل فيلبس ـ نفس المرجع ص ٣٣٧ ٠
(٥٩) هدى سليم عبدالباقي ـ الروابط بين العرب والافارقة السود والأمريكيين السود ص ٢٤ ٠
(٦٠) د ٠ رأفت غنيمى الشيخ ـ افريقيا في التاريخ المعاصر ص ٢٣٧ ٠
(٦١) عائشة السيار ـ المرجع السابق ص ٩٢ ٠
(٦٢) عصام محسن الجبوري ـ المرجع السابق ص ٥١ ٠
(٦٣) هدى سليم عبدالباقي ـ المرجع السابق ص ٥٢ ٠
(٦٤) د ٠ أحمد ابراهيم دياب ـ لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث ص ٧٣ ٠
(٦٥) عصام محسن الجبوري ـ المرجع السابق ص ٥١ ٠
(٦٦) عصام محسن الجبوري ـ نفس المرجع ص ٥١ ٠
(٦٧) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٧ ٠
(٦٨) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ نفس المرجع السابق ص ٢٠٧ ٠
(٦٩) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٢٢ ٠
(٧٠) د ٠ جلال يحيى ـ المرجع السابق ص ٢٠٥ ٠
(٧١) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٢٢ ٠
(٧٢)د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٥ ٠
(٧٣) جون ـ بي ـ كيلى ـ المرجع السابق ص ٣٩٢ ٠
(٧٤) وندل فيلبس ـ المرجع السابق ص ١٧٣ ٠
(٧٥) وندل فيلبس ـ نفس المرجع ص ١٣٧ ٠
(٧٦) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٣٠٦ ٠
(٧٧) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ نفس المرجع ص ٣٠٦ ٠
(٧٨) د ٠ صلاح العقاد ـ المرجع السابق ص ١٠٩ ٠
(٧٩) وندل فيلبس ـ المرجع السابق ص ١٤٢ ٠
(٨٠) Ministry Of Op. cit 16 Information
(٨١) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٢٣ ـ ٢٢٣ ٠
(٨٢) هيرمان ايلتس ـ عمان والولايات المتحدة الأمريكية ص ١٤ ٠
(٨٣) د ٠ جمال زكريا بشارة ـ المرجع السابق ص ٢٣٣ ٠
(٨٤) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ نفس المرجع ٢٣٤ ٠
(٨٥) أحمد حمود العمري ـ عمان وشرق افريقيا ص ٩٦ ٠
(٨٦) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٣٤ ٠
(٨٧) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ نفس المرجع ص ٢٣٤ ٠
(٨٨) د ٠ محمد عبدالله النقيرة ـ انتشار الاسلام فى شرق افريقيه ومناهضة الغرب له ص ٣١٨ ٠
(٨٩) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٣٥ ٠

المراجع

١ ـ أحمد ابراهيم دياب ـ (دكتور) لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث ـ دار المريخ الرياض ١٩٨١ ·

٢ ـ أحمد حمود المعمري ـ عمان وشرق افريقيا ـ وزارة التراث القومي والثقافة مسقط ١٩٧٩ ·

٣ ـ جون ـ بي ـ كيلي بريطانيا والخليج ـ ترجمة محمد أمين عبدالله ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط ١٩٧٩ ·

٤ ـ جمال زكريا قاسم ـ (دكتور) الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٨٥ ·

٥ ـ ج · ج لوريمر ـ دليل الخليج ـ القسم التاريخى ـ ج٢ مكتب أمير قطر الدوحة ـ السنة غيرة مكتوبة ·

٦ ـ جلال يحيى (دكتور) تاريخ افريقية الحديث والمعاصر ـ المكتب الجامعي الحديث ـ الأسكندرية ١٩٨٤ ·

٧ ـ حسن أحمد محمود (دكتور) الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٨٦ ·

٨ ـ حسن ابراهيم حسن (دكتور) انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٨٤ ·

٩ ـ حلمي شعراوي ـ العرب والأفريقيون وجها لوجه ـ دار الثقافة الجديدة القاهرة ـ ١٩٨٤ ·

١٠ ـ رودولف سعيد روث ـ سلطان عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ـ جامعة البصرة ـ البصرة ١٩٨٣ ·

١١ ـ رأفت غنيمي الشيخ (دكتور) افريقيا فى التاريخ المعاصر ـ دار الثقافة للطباعة والشنر ـ القاهرة ١٩٨٢ ·

١٢ ـ سالمة بنت سعيد بن سلطان ـ مذكرات أميرة عربية ـ ترجمة عبدالمجيد القيس ـ أبوظبي ·

١٣ ـ صلاح العقاد (دكتور) التيارات السياسية فى الخليج العربي ـ مكتبة الانجلو ـ المصرية ـ القاهرة ١٩٧٤ ·

١٤ ـ عصام محسن الجبوري ـ العلاقات العربية الأفريقية ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ١٩٨١ ·

١٥ ـ عائشة السيار ـ دولة اليعاربة عمان وشرق افريقيا ـ دار القدس بيروت ١٩٧٥ ·

١٦ ـ فالح حنظل ـ المفصل فى تاريخ الامارات العربية المتحدة ج٢ لجنة التراث والتاريخ ـ أبوظبي ١٩٨٣ ·

١٥ ـ لجنة تاريخ قطر ـ البحوث المقدمة الى المؤتمرات دراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ الدوحة ١٩٧٦ ·

١٨ ـ محمد محمود الصواف افريقيا المسلمة ـ الدار السعودية للنشر ـ جدة ١٩٧٤ ·

١٩ ـ محمد فايق ـ عبدالناصر والثورة الأفريقية ـ دار الوحدة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٤ ·

٢٠ ـ محمد عبدالله النقيرة (دكتور) انتشار الاسلام في شرق افريقيه ومناهضة الغرب له ـ دار المريخ ـ الرياض ١٩٨٢ ·

٢١ ـ هدى سليم عبدالباقي ـ الروابط بين العرب والافارقة السود ـ دار المروج بيروت ١٩٨٦ ·

٢٢ ـ هيرمان ايلتس ـ عمان والولايات المتحدة الأمريكية ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط ١٩٨٥ ·

٢٣ ـ وندل فيلبس ـ تاريخ عمان وترجمة محمد أمين عبدالله ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط ١٩٨١ ·

«ونحن نكتب التاريخ يفرض علينا أن ننصف الشهداء ، ليس من أجل استشهادهم فحسب ، وإنما من أجل الاحياء الذين نطلب منهم الاستبسال فى الدفاع عن القيم التى تستوجب الاستشهاد» .

The Arab Historian

Al-Muarrikh Al-Arabi

Journal of Arab Historians
A quarterly issued by the Union of Arab Historians



Office of the General Secretary
Iraq — Baghdad P.O. Box : 4085
Cable : MOARKHEEN Baghdad

No. 37 1988 (1409 A.H)
Fourteenth year.